ويمكن إيضاح هذه الأدوار بشيء من الإيجاز كما يأتي:

1. الدور الأول (1869 ـــ 1908):

يمكننا في هذا الدور أن نميز ثلاث صحف عراقية مهمة صدرت خلال العهد العثماني وهي كما يأتي :

أ. جريدة الزوراء:

كانت الطباعة والصحافة من أولى اهتمامات الوالي مدحت باشا فقد جلب معه من اسطنبول مطبعة تدار بماكنة تشتغل باليد وأخرى حجرية جلبت للاغراض العسكرية سميت (مطبعة الفيلق) لتقوم بطبع مطبوعات الجيش المختلفة، وكانت تخضع لرقابة شديدة ومحاطة بالسرية فلم يطلع عليها الا كبار الضباط. أما المطبعة الاولى فباشرت باصدار أول صحيفة في العراق باسم (زوراء) وعرفت المطبعة باسم مطبعة الزوراء، وكانت الصحيفة تصدر في عامها الاول مرة واحدة في الاسبوع وباللغتين العربية والتركية[1]. ويعدُّ (مدحت باشا) أول من وضع الحجر الأساس للصحافة العراقية بتأسيسه جريدته الرسمية الاولى (زوراء) عام 1869، والتي سميت بعد ذلك (الزوراء) بعد ان كان العراق محروماً من الصحافة. ويذكر ان السلطنة العثمانية عرفت الصحافة عام 1831 عندما اصدر السلطان محمود أمره بتأسيس جريدة (تقويم وقائع) التركية، فكانت الجريدة الوحيدة التي تصل العراق وكان العراقيون يعرفون التركية قراءة وكتابة أكثر من لغتهم العربية لأنها لغة الدولة الرسمية ولغة التعلم. أما الجرائد العربية فكانت معدومة آنذاك ولعل جريدة (الجوائب) لأحمد فارس الشدياق، التي ظهرت في الأستانة عام 1860 أكثرها انتشاراً في العراق والتي شاع تداولها بين شريحة المثقفين العراقيين[2].

وكان الوالي حريصاً على الاستفادة القصوى من المطبعة فصحب لها معه من أسطنبول الكادر الفني والصحفي معاً، فكان بينهم مدير المطبعة وصحفي ومهندس لصيانة المطبعة. أما ايرادات المطبعة والصحيفة فكان يعتمد على ما يباع من الصحيفة بصورة رئيسية، وأجور طبع المطبوعات لدوائر الولاية ونشر الاعلانات. كما استورد مدحت باشا نتيجة لزيادة الحاجة الى المطبوعات مطبعة جديدة تدار بماكنة كبيرة تتحرك بوساطة البخار وماكنة أخرى مخصصة للطبع بالحروف فقط تطبع وجهي الورقة دفعة واحدة. وساعدت هذه المطبعة على أصدار الجريدة في عامها الثاني مرتين في الاسبوع يومي السبت والثلاثاء وباللغتين العربية والتركية أيضاً. واستمرت تصدر باللغتين عدا المدة المحصورة ما بين (تموز 1908 ـــ تموز 1913) التي صدرت خلالها بالتركية فقط[3]. وقد صدرت جريدة (زوراء) باربع

صفحات، صفحتان باللغة العربية، وصفحتان باللغة التركية وبالحجم المتوسط، وكان قياس الصفحة (43سم× 27سم)، وتحتوي على ثلاثة أعمدة طويلة ولم يشاهد عملاً من أعمال (الزنكوغراف) غير (زوراء) اسم الجريدة كما لم نشاهد فيها الصور أو خطأً او حروفاً متباينة الأشكال والأحجام أو أعمالاً فنية أخرى[1]. وتعد مقدمة العدد الأول من الجريدة بمثابة المفتاح الأساس لدراسة تاريخها. وفي المقدمة توضيح لأهدافها وأسباب صدورها وفلسفتها المستقبلية، فضلاً عن أنها عكست أبعاد مشروع الوالي مدحت باشا لتحديث العراق وإصلاح اوضاعه العامة. ولقد اعتادت الزوراء نشر نصوص الفرامين العثمانية (المراسيم) التي يعين بموجبها ولاة بغداد واعتادت كذلك نشر خطبهم عند تسلمهم الولاية ومتابعة اخبار الوالي وتنقلاته وأسفاره. وكان لتأثير مدحت باشا بأفكار الثورة الفرنسية وتحمسه للحرية والمساواة، اثر كبير في أن تعكس الجريدة قدرة المثقفين العراقيين آنذاك لنقد حكامهم وأوضاعهم العامة على صفحات الجريدة وقد ظهر ذلك واضحاً في أعدادها الأولى خاصة. وتعد جريدة (زوراء) مصدراً رئيساً لتاريخ العراق الحديث. إذ كانت تنشر اخبار شؤون ولاية بغداد واحوالها، ونصوص القوانين والأوامر السلطانية ونصوص المعاهدات واخبار حركات العشائر وتتابع علاقات العراق بالدول المجاورة[2]. وهي، لم تهمل السياسة الدولية ومايحدث من تغيرات[3]. ويلاحظ على غالبية اعداد جريدة

(زوراء) ان اخبارها المحلية كانت تكتب تحت عنوان (مواد خصوصية) وبعض الأخبار تحمل عناوين بسيطة جداً[1].

وعندما صدرت جريدة (زوراء) الرسمية يوم الثلاثاء الخامس من ربيع الاول سنة 1286 هجرية الموافق 15 حزيران 1869 ميلادية، سعى مؤسسها لإيجاد مجتمع عراقي يضاهي المجتمعات المتقدمة[2]، كما هو معروف عنه، متخذاً (زوراء) وسيلة لإفهام العراقيين ان هناك حكومة وطنية أو أنظمة وقوانين؛ مما هيّأ الأذهان إلى الاستقرار والقضاء على عوامل التذمر، وشجع الناس على نقد الولاة والحكام، اذ كانت لهذه الجريدة الحرية الكافية في نشر مطالب الشعب وشكاواهم، وانتقاد أعمال الحكومة ومأموريها، مطالبة بالإصلاح. إلا أن هذه الحال لم تدم طويلاً فقد عزل (مدحت باشا) عام 1872 وأعقبه ولاة كثيرون عمدوا إلى طمس معالم الأعمال الإصلاحية التي قام بها. فتغيرت خطة (زوراء) وفق أهواء الولاة، ودخلت معمعة السياسة، واتخذت لكل والٍ لبوساً يتفق ووجهته التي يرومها، وأصبحت جريدة تركية ليس فيها ما يهم الناس، وبالأخص عندما تسلم (عبد الحميد) سلطنة الدولة العثمانية(1976ـــ 1909) ضيق على الصحافة في أنحاء الدولة العثمانية وخشي سوء عاقبتها وسار ولاته في بقية الأقطار العربية على نهجه، فأصبحت الصحافة في العراق شأنها في ذلك شأن بلاد الإمبراطورية العثمانية الأخرى، معدومة الوجود تقريباً تحت ظل حكومة السلطان عبد الحميد.

كانت (الزوراء) جزءً من آلية الادارة العثمانية، فهي تابعة إدارياً ومالياً لادارة الولاية وكان العاملون فيها من الجهاز الوظيفي الحكومي، ومن ثمَّ كانت تعبر عن سياسة الولاية، فلم يظهر فيها ما يتعارض مع السياسة العثمانية لأن

(الـزوراء) لم تكـن صـحيفة رأي، ولم تنـشر افكـاراً لاتنـسجم مـع سياسـة الادارة الحاكمة[1]. وقد اهتمت بأخبار تطوير أوضاع ولاية بغداد والذي ظهر ذلك من خـلال تشكيل لجـان خاصة بـأمر مـن السلطة المركزية للبحـث في سبل وأسباب الأعمـار الذي كانت تحتاج إليه بغداد، على حد تعبير الجريدة آنذاك. وكثيراً ما اهتمت بمتابعة مظاهر التأخر الذي كانت تعانيه بغداد، فعلى سبيل المثال أشارت إلى قدم وتخلف وسائل الإنتاج المستخدمة آنذاك ولجـأت إلى أسلوب التهكم والسخرية عند تناولها هذه المسائل. واهتمت (الزوراء) بوسائل المواصلات وخطوط التلغراف والسفن التجاريـة (الوابـورات) الـتي كانـت تمخـر عبـاب نهـري دجلـة والفـرات. وانـصرفت الجريـدة لمتابعـة أخبـار مـشروع سـكتي حديـد بغـداد والحجـاز. وناشـدت المسؤولين والأهـالي علـى اقتنـاء المخترعـات الحديثـة. واستأثرت المشاكل الاجتماعيـة باهتمـام الزوراء وتابعت أخبار القضاء والمحاكم والضرائب والبلدية ودعت إلى ضرورة تغطية أحيـاء بغـداد بأنابيـب الميـاه وتبليـط الـشوارع العامـة وكرسـت (الـزوراء) العديـد مـن صفحاتها لشؤون الصحة ودعوة الأهالي إلى اتخاذ الاحتياجات أثناء انتشار الأمـراض والأوبئة. وتابعت الـزوراء أنبـاء احتجـاج وجهـاء ومثقفـي بغـداد علـى قـرار غلـق مدرسـة (كليـة) الحقـوق سـنة 1912، هـذه الكليـة الـتي فتحـت سـنة 1908 بحجـة أنهـا أصبحت بـؤرة للفكـر القـومي العربـي المـضاد للدولـة العثمانيـة. وفي الواقـع كانـت معظم مواد الجريدة مكرسة لنشر الانظمة والقوانين والمراسيم والاعلانـات الرسمية والاهلية، لذلك كان ماهو مخصص لغير ذلـك محـدود المساحة والاهميـة[2]. وتفيـدنا (الـزوراء) في متابعـة أخبـار حركـة التنقيـب عـن الآثـار، وتكـشف المعلومـات الـتي نشرتها جانبا من صـراع القـوى الاسـتعمارية الأوروبيـة علـى آثـار العـراق والنهـب الـذي تعرضـت لـه هـذه الآثـار. وكانـت تعـدُّ مـصدراً لمعرفـة معلومـات طيبـة عـن الأبنيـة

والمؤسسات والمنشات المعمارية المدنية والعسكرية التي كانت موجودة في بغداد آنذاك. ومن ذلك قشلة العسكرية والحداد خانة والحديقة الملية (العامة) وخستخانة (مستشفى) الغرباء وليمان دائرة سي (السجن). ونستفيد من الزوراء في معرفة إحصاءات سكان بغداد إبان السيطرة العثمانية. وأخيرا فان (الزوراء) مصدر مهم لمعرفة بعض المعلومات والأخبار عن علاقات العراق والدولة العثمانية مع دول العالم وأقطاره، ونتعرف من خلالها على أن بغداد كانت تضم قنصليات أجنبية كثيرة، منها القنصليات البريطانية، الأمريكية، الفرنسية والألمانية. وهكذا فإن (الزوراء) تعد مصدراً لتاريخ بغداد والعراق كله خلال الفترة الواقعة بين 1869 و1917. كان أسلوب تحرير (الزوراء) في هذا الدور انعكاساً للأسلوب السائد في ذلك العهد العثماني، فتميز بالركاكة والابتعاد عن المقاييس الأدبية والجنوح إلى زخرف القول بصورة لا يقبلها الذوق، وكان من مظاهر تردي تلك الأساليب استعمال السجع الممل والبديع المخل والبيان الذي لا طائلة فيه[1]. وكانت الصفحات الأولى من هذه الصحيفة تبدأ بالدعاء للسلطان، إذ يذكر سليمان فيضي في مذكراته العبارة التي تبدأ بها الزوراء بالنص الآتي: (أطال الله عمر مولانا أمير المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين، خادم الحرمين الشريفين، وخاقان البرَّين والبحرين، السلطان بن السلطان، والخاقان بن الخاقان عبد الحميد خان أدام الله عزه وأعز جنده وأسعد عهده ونشر على بلاد الأعداء راية نصره ... الخ)[2]. إن الركاكة الظاهرة في أسلوب جريدة (الزوراء) واختلاط العامية بالفصحى وتداخلها تداخلاً غريباً وصل الى حد يتعذر معه فهم العديد من مادتها، ويوحي بوجود قلق فكري يمنع صاحبه من الإبانة والوضوح بل يصل الحال الى تعذر فهم ما ورد في جريدة (الزوراء) مهما أوتي

القارئ من الدقة والصبر[1]. وكان النص العربي في جريدة (الزوراء) ترجمة حرفية للنص التركي، وفي فترة لاحقة احتاجت الجريدة الى تطوير أسلوب التحرير فيها فادخلت العنصر العربي وكان من بينهم ادباء يمتلكون لغة عربية سليمة، إذ ساهم في تحرير (الزوراء) عدد من الأدباء والمثقفين العراقيين وقسم منهم تولى ادراتها أو تحريرها نذكر من هؤلاء احمد عزت محمود العمري الموصلي واحمد الشاوي وجميل صدقي الزهاوي وطه الشواف ومحمود شكري الالوسي وفهمي المدرس ومعروف الرصافي. وكانت جريدة (الزوراء) تتابع من خلال أعدادها حركات العشائر ونصوص المعاهدات والأوامر السلطانية وعلاقات العراق بالدول المجاورة، ولم تهمل السياسة الدولية. وكانت تنقل بعض أخبارها من صحف اسطنبول وباريس ولندن، كما اعتمدت في معظم أخبارها الخارجية على برقيات وكالات الأنباء (الاجانسي) الأجنبية والفرنسية منها على وجه الخصوص، كذلك كان هناك تطور فني للطباعة تضمن توفير عنصر وطني متخصص إذ أن الكادر الفني الذي جلبه الوالي مدحت باشا لم يعد يفي بالحاجة ولهذا تم تدريب ثلاثين طالباً من مدرسة الصنائع لترتيب الحروف في المطبعة. وقد استمرت جريدة (الزوراء) بالصدور المنتظم لحين انتهاء الحكم العثماني[2] لما يقرب من 49 عاماً، وبلغ عدد ما صدر من جريدة الزوراء ابتداءً من عددها الأول في 15 حزيران 1869 حتى عددها الأخير في 13 آذار 1917 (2607) أعداد[3]. وتُعدّ (الزوراء) مصدراً تاريخياً هاماً لتقييم الأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة في العراق خلال تلك الفترة، وكانت تباع بخمسين بارة والاشتراك السنوي 55 قرشاً. وكانت (مكتبة المتحف) تضم ثلاثة مجلدات لجريدة (الزوراء) إضافة إلى وجود نسخ عديدة منها محفوظة حالياً في المكتبة الوطنية ببغداد[1].